ذات اهمية بالغة.

مثـلاً، في انكلترا القرن السادس عشر، وجهت الى البروتستانتيين، أيام الملكة ماري (١٥١٦ ـ ١٥٥٨)، ضربة شديدة، منها احراق ثلاثمائة شخص دفعة واحدة، بغية اعادة الكاثوليكية. هرب البروتستانتيون الناجون من الحرق، ومن السجن، الى اماكن عديدة في اوروبا، ولكن استقر الكثيرون في جنيف، وهناك كان مركز نشاطهم السياسي والدعائي لفترة.

يمكن اعتبار «الارض الصديقة» هنا بالنسبة للبروتستانتيين مختلف مناطق الهجرة، مع التشـديد على جنيف، حيث اصدر رجال الدين البروتستانتيون المجلد الذي عرف بعنوان «كتاب الشهداء»، وكتاب «توراة جنيف». وبقيت للكتابين شعبية في انكلترا لسنوات طويلة.

وكذلك، كانت باريس «ارضاً صديقة» للملك الانكليزي جيمس الثاني، الذي هرب من بلاده في العـام ١٦٨٨، وايضاً لوريثه الذي سمى نفسه جيمس الثالث. في المقابل، كانت انكلترا «ارضاً صديقة» للارستقراطيين الفرنسيين الذين هربوا من الثورة الفرنسية.

طبعاً، في كل الحالات المذكورة، ما كان ممكناً ان تكون المناطق المذكورة «ارضاً صديقة» لولا البعد السياسي الذي يجعل الطرف الهارب في تجانس، او في تجانس نسبي، مع الجو الجديد.

لقـد كانت بعض منـاطق اوروبـا، ومنها جنيف، مراكز دعوة للمنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية، ولذلك، وجد فيها البروتستانتيون الانكليز ملجأً. وكانت باريس، في العام ١٦٨٨، ملاذاً كاثـوليكياً ينسجم مع قضية جيمس الثاني، ويشجعها. وكانت انكلترا، ايام الثورة الفـرنسيـة، زعيمـة التعبئـة الرجعيـة في اوروبـا ضد تلك الثـورة، ولذا، كانت تتبنى الارستقراطيين الفرنسيين وتشجّعهم وتوفر لهم كل امكانات النشاط.

٣

في حالات الكفاح من اجل الاستقلال او من اجل تحرير الارض او من اجل التحرر الوطني، تكون الأمور اعقد من الامثلة التي مررنا بها والتي تتألف من مجرد اللجوء البسيط الى الخارج. مع ذلك، ليست الحالات كلها في نفس الدرجة من التعقيد، فبعضها يتطابق، تقريباً، مع صورة اللجوء البسيط. مثلاً، وجد نشاط مثقفي النهضة العربية ضد الاحتلال التركي «ارضاً صديقة» في اوروبا، فرنسا وانكلترا، وفي مصر التي كانت عاصمة حركة الثقافة العربية في عهد النهضة. التفسير هو ان الاستعمارَيْن، الفرنسي والانكليزي بصورة خاصة، كانا طامعين بالمدى الامبراطوري للسلطنة العثمانية. وكان في صالحهما التحريض «القومي»، العـربي او غيره، ضد الاحتلال التركي وخلق جو ملائم للنشاط المناوىء لتركيا في اوروبا وللنشاط العربي المعادي للسلطنة العثمانية، في مصر خاصة.

الا ان الأمـر يختلف بالنسبـة للحرب الوطنية العظمى في الاتحاد السوفياتي. كانت «الارض الصـديقـة» هي العمق الآسيـوي السوفياتي، فكانت خلية نشاط كثيف، بشري واستراتيجي ـ سياسي واقتصادي، ونقل اليها، بعملية انقاذ تاريخية جبارة، معظم المعامل التي كانت في القسم الاوروبي، وبنيت فيها معامل جديدة، وطورت القديمة، وعبئت الجيوش، ونظمت الامدادات المختلفة الى ارض المعركة، الخ.

في الجزائر، كانت «الارض الصديقة»، في التسعة شهور الاولى من ثورة ١٩٥٤ التحررية